

الوضع الاجتماعي والاقتصادي للمسلمين في أوروبا

أ. د / محمود عبده^(١)

لكون هذا المحور يضم عدداً من المسائل والقضايا. فإنه يصعب الإحاطة بها وعرضها كلها في مبحث واحد . وإنني أعمد إليّ تسليط الضوء علي نقاط معينة يمكن من خلالها الإلمام بأهم جوانب المسائل . في شعب الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية للمسلمين في أوروبا . ومدى التأثير والتأثر في مجتمع النمسا علي وجه الخصوص ، وختام ذلك بعرض بعض المقترحات التي يمكن أن تضيف- إذا تحققت- عنصراً إيجابياً في فعاليات النشاط البناء للمسلمين باعتبارهم- لاسيما الذين تنجسوا بغير جنسية الوطن الأم - شريحة من المجتمع الأوروبي . لا يمكن التكرار له أو الانفصال عنه . إذ لهم كل الحقوق المواطنة وعليهم في الوقت نفسه كل الواجبات .

خلفيات تاريخية :

لا فرق عند الإسلام بين شرق وغرب . فالغرب والشرق كلاهما جزء من مملكة الله الواسعة وربنا سبحانه يسجل هذا في كلامه : القرآن الكريم فيقول : " والله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله " (سورة البقرة الآية: ١٥).

ورسول الإسلام وهو رسول الله إلي أهل المشرق والمغرب صلى الله عليه وسلم رحمة لهم جميعاً لقوله سبحانه وتعالى " وما أرسلناك إلا رحمة رحمة للعالمين " (سورة الأنبياء الآية : ١٠٧) .

(١) رئيس قسم أصول الدين بالأكاديمية الإسلامية في فيينا

فالعربيون هم جزء من العالمين الذين أرسل نبي الإسلام إليهم .
ومظلة الرحمة الإلهية تسعهم كما تسع أهل المشرق سواء بسواء . وحجب
الرحمة عن أهل الغرب قصور يشن أهل الإسلام عند رب العالمين .
ومعلوم أن بلوغ الرحمة للعالمين لن يتأتى إلا من خلال الدعوة .
ولأن الدعوة رحمة فقد اتسمت دائماً بالحكمة والموعظة الحسنة . "ادع إلي
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" (سورة
النحل الآية : ١٢٥) والنفس الخيرة تواقه إلي نقل الخير إلي الآخرين
والخير لغة مفهومه لجوانب الفضل في النفس البشرية فلا تعرض عنه .
ولا تصد عن سبيله ، فضلاً عن أن تضيق به .

هذا هو الشأن غالباً حين يلقي الإنسان السمع إلي صوت الفطرة
التي فطر الله الناس عليها . وإيماناً بهذه الحقيقة وانطلاقاً من هذه القاعدة ،
وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أسقر به المقام في المدينة يبادر
بمد جسور التواصل خارج الجزيرة العربية مع الفرس والروم عن طريق
الكتب والرسل إلي كسري وقبصر عبر دول الجوار التابعين للدولتين
العظمتين .

وكان لهذه البداية آثارها ونتائجها التي أكدت أن قطار الرحمة
الإسلامية والهداية الإلهية ، يجب أن لا تتوقف مسيرته حتي يمر بأهل
المشرق والغرب ، لأنه يحمل الرحمة للعالمين .

وأصبح للإسلام صوت في كل مكان ، سواء عند أهل المشرق أو
أهل الغرب . نعم إنه صوت خافت ضعيف لكنه موجود ، بقي ببقاء الطلائع
الأول التي شكلت الجذور لمن بعدهم فزادت وتنامت ، وشاء الله لها أن تبلغ

ما بلغ الليل والنهار تحقيقاً لبشارة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه الإمام مسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكهم بسنة عامة . وأن لا يسلط عليهم عدو من سوى أنفسهم فيستبيح بعضهم وإن ربي قال يا محمد إن إذا قضيت قضاء فانه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة عامة وإن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضا .

الانفتاح على الغرب :

لا شك أن لكل نشاط دوافعه وأسبابه وأيضاً نتائجه وآثاره فأما الأسباب فإنها تتمثل في تجليات كثيرة أهمها :

- ١- إننا نحن المسلمين أصحاب رسالة عالمية لا تحدّها حدود ولا تحجزها سدود ، لأن رب العالمين شاء أن يكون الإسلام لأهل الأرض جميعاً . فأصبح انفتاح المسلم علي إخوانه في الغرب .
- ٢- ليس في عقيدة الغرب ما يمنعنا من هذا الانفتاح لأن دين الغرب كانت نشأته لدينا ، فقد بدأت المسيحية والإسلام ديانتين في الأصل شريقيّتا الهوية حيث خرجت المسيحية والإسلام إلي أوروبا من الشرق كعمتقد وبقي المسيح عليه السلام ونمت في أوروبا وحاولت أوروبا مراراً منح المسيح عليه السلام هوية أوروبية وكان ذلك

واضحاً في حروب الفرنجة وأحد العناصر التي شجعت على الهجرة .

٣- أننا نحفظ من كلام ربنا أن النصارى هم أقرب الناس مودة إلي أهل الإسلام قال الله تعالى " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون "

(سورة المائدة الآية : ٨٢) ، واستثناسا بهذه المودة يولي كثير من أهل الشرق وجهه نحو الغرب استجابة لدوافع شتى .

٤- اللغة السائدة في العالم الآن هي لغة التقارب وثورة الاتصالات الهائلة في هذا العصر التي جعلت من العالم قرية صغيرة . ولم يعد في وسع أحد أن يعزل نفسه عن هذه القرية . ومقولة : (إن الشرق شرق والغرب غرب . ولن يلتقيا) قد فرغها الواقع الذي جاء به النظام العالمي الجديد من كل مضمون .

٥- الرغبة في الحفاظ على الروابط المميزة التي صاغها قرب الجوار والتاريخ ومنها العوامل الاقتصادية والعلمية والحضارية .

٦- الرؤية الواضحة والقدرة على التفرقة بين الأفكار والمواقف وبين التعاون وتبادل العلاقات الثقافية وبين العقيدة والمعاملة فإن المرء يستطيع أن يحتفظ بعقيدته وآرائه ومواقفه القومية والوطنية وفي الوقت نفسه يقيم مع من يخالفه أنواع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ثانياً : نتائج هذا الانفتاح :

لا شك أن لهذا الانفتاح نتائج عديدة ظهرت آثارها في حياة الغربيين أنفسهم وفي حياة المهاجرين إليهم والمقيمين بينهم إقامة دائمة يورثها الأبناء للأبناء ، أو إقامة مؤقتة إلي حين والذي يعيننا هنا الإشارة إلي الحالة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين في أوروبا وهي الكيان الأكبر الذي يضم العالم الغربي .

وليس في الوسع تتبع أحوال المسلمين في الكيان الأوربي كله لأن هناك أحوالا يصعب استعراضها لكن يمكن الإلمام ببعضها ، بيد أننا سنقف وقفات تطول أو تقصر مع أحوال المسلمين في النمسا علي وجه الخصوص. مع إمكان الإشارة إلي غيرها من البلاد بقدر ما تدعو الحاجة أو يتطلب السياق . وذلك لأسباب أهمها

١- ندرة الاختلاف الحاد بين أحوال المسلمين في بلد أوربي عنه في بلد أوربي آخر لتشابه النظم وتقارب الواقع المعاش في الحياة اليومية .

٢- الاطمئنان إلي القدر المعرفي المتاح عن أحوال المسلمين في النمسا بسبب القرب من مصدر المعلومات بأنواعها المختلفة .

٣- الوضع القانوني المتميز في النمسا والذي لا يوجد له نظير في أي دولة أوربية من دول الاتحاد الأوربي وانعكاس هذا على الحياة الاجتماعية والاقتصادية بصورة مميزة إلي حد كبير .

الحالة الاجتماعية للمسلمين في النمسا :

- للمسلمين وضع متميز في جمهورية النمسا الاتحادية ، إذ هي البلد الأوربي الوحيد الذي يعترف بالدين الإسلامي رسمياً منذ صدور

قانون الإسلام في العام ١٩١٢ م في عهد الإمبراطور " فرانس جوزيف الأول اعترافاً بحقوق المسلمين الذين يشكلون جزءاً مهماً في هذا الاتحاد دون خوف من المسلمين مع أن الذاكرة النمساوية لم تنس قيام الجيوش العثمانية بمحاصرة فيينا الثانية مرتين ، الأولى في عام ١٥٢٩ م والثانية ١٦٧٣ بدون نجاح ، لما كانت تتمتع به النمسا في ذلك الوقت من إمكانيات أظهرتها كقوة كبرى قادرة علي الدفاع عن حدودها .

- ولأسباب تاريخية وسياسية زاد الإقبال علي النمسا فبلغ عدد المسلمين في النمسا حوالي ٣٦٠ ألف نسمة أي ما يعادل ٥ % من مجموع السكان الذي يقدر بحوالي ٨ ملايين . وبذلك يحتل المسلمون المرتبة الثانية في عدد السكان بعد الكاثوليك ثم البرونستانت في المرتبة الثالثة وحسب آخر أحصاء صادر عن دائرة الإحصاء النمساوية في أغسطس ١٩٩٣ نجد الآتي :

الأتراك ١٨٩,٠٠٠ ، والبسنويون ٧٢,٠٠٠ ، والعرب ٤,٠٠٠ ، والمسلمين من الهيئات الدولية ٢,٥٠٠ ، لاجئون سياسيون من دول عربية مختلفة ٣,٨٠٠ والبقية لجنسيات أخرى من أفريقيا وآسيا والبنانيا وكردستان والهند وباكستان وغيرها، أما عدد أبناء المسلمين في المدارس النمساوية فيقدر ٤٠,٠٠٠ تلميذ .

الهرم الاجتماعي للمسلمين :

يصنف المهاجرون حسب البلد الأصلي - بلد المنبع - ووضع إقامتهم في النمسا ، والهرم التالي يوضح طبقات المهاجرين وتفصيلهم كالآتي :

يمثل الأتراك أكبر جالية مسلمة في النمسا كما رأينا وهي أكبر الجاليات الإسلامية تنظيماً . وهم نشيطون في بناء المساجد غير أن النمساويين يعتقدون خطأ أن كل ما هو تركي لابد أن يكون له علاقة بالإسلام . وهم أتباع مذاهب واتجاهات مختلفة . تكاد تكون صدي للواقع الاجتماعي في تركيا البلد الأم وهم متفنون علي أن المساجد بيوت الله يجب أن تكون مفتوحة لجميع المسلمين لتأدية الصلاة . وقراءة القرآن وموقفهم من الحكومة التركية مختلف فبعضهم يرفض التفاعل معها وبعضهم لا يري بأساً من التعامل معها بأي شكل من الأشكال .

والمنظمات التي تربط هذه الأعداد الكبيرة متعددة والصلات وثيقة بين كل جماعة والتعاون بينها في غاية الالتحام والتعاون التام . مما يكفل لها القدرة علي إنجاز المطالب والحاجات من المساجد والمدارس والتكافل والرعاية لمن هم في حاجة إلي دعم مادي أو معنوي .

مسلمو البوسنة والهرسك واليوغوسلاف :

يبلغ عدد المسلمين منهم ٧٢،٠٠٠ حسب الإحصائية المشار إليها ، وهم يتحدثون اللغة الألمانية ، والتحامهم شديد بالمجتمع النمساوي ولكنهم غير منظمين مثل الأتراك . وهم محبوبون للعرب وتلتقي جماعات منهم مع العرب والأتراك في المساجد ومنهم من يقوم بالترجمة للدروس وخطبة يوم الجمعة . ولنسائهم حضور المناسبات الخاصة بهم . والرجال

يحرصون علي الزواج من أبناء وطنهم إما للقرابة ويسر التفاهم نظرا
لوحدة اللغة والعادات والتقاليد .

مسلمو العرب :

أشارت الإحصائية إلي الوجود العربي في النمسا والذي بلغ
٤٠,٠٠٠ أكثرهم من مصر وسوريا وتونس والجزائر والمغرب وليبيا
والعراق وظروفهم الاجتماعية متقاربة والحديث عن المصريين أكثر
دلالة في بيان الحالة الاجتماعية لأن نسبة تواجدهم أعلي ونشاطهم أجلي
وحضورهم أقوى في المجالات المختلفة . والمصريون هم أسبق الشعوب
العربية التي تركت الوطن الأم وهاجرت إلي النمسا . إما للدراسة من
خلال البعثات العلمية . وإما للعمل والكسب .

وهؤلاء هم الجيل الأول وأكثرهم أخذ حظه وفرصته في التعليم الجامعي
. فمنهم الأطباء المتخصصون والصيادلة والمهندسون والتجارون
والأساتذة في بعض المعاهد العلمية . وأكثرهم جمع بين العمل والدراسة
. وقد مضى علي وجودهم أكثر من ثلاثين عام فهم مستقرون ماديا
وأسريا ونفسياً . فلم يعد يشغلهم هم الأولاد الذين تعلموا وتزوجوا
وأصبحوا قرة عين آبائهم وأمهاتهم . غير أن أكثر زوجاتهم من النمسا .
وأكثر الأمهات اعتنق الإسلام وقليل منهم بقي علي دينه حتى الآن . وقد
لعب الإسلام دورا مؤثرا في تميز الأسر التي نشأ فيها الأولاد بين أم
مسلمة وأب مسلم يحافظ أفرادها علي شعائر الإسلام وتعلم اللغة العربية
والنجاة من غوائل المجتمع.

فالعامل ميسور والدراسة جادة والمهاجر إلى البلاد شخص مقبول طالما يحرص على المظهر واستقامة سلوكه . والجد في حياته واحترام قيم المجتمع رغم اختلافها عن البيئة المصرية إلا الحريص منها على دينه وأخلاقه كان يجد على الخير أعوانا . ومن وقع تأثير العادات والتقاليد والحريات الممنوحة للرجال والنساء أخذته الحياة فترة ثم أدرك نفسه . لأن هم الدراسة وهاجس المستقبل الذي جاء من أجله كان يرده سريعا إلى جادة الطريق ويعيده إلى الصواب غير أنهم لطول العهد في المهجر انقطعت صلتهم أو كادت بالوطن الأم لأنهم أسسوا حياتهم على الإقامة الدائمة فأبناؤهم نمساويون بحكم البلد وهم أيضاً نمساويون لطول المدة ولم يعد للوطن أهمية تذكر عند الأباء والأبناء . اللهم إلا زيارات متباعدة أو متقاربة للأهل في الوطن الأم وينتظر لجيل الأبناء أن يكون أكثر بعدا عن الوطن الأم بخلاف الأباء إذ ليس للأبناء في الوطن الأم زملاء وأصدقاء ولا علاقات وثيقة يتعززون بها ويحنون إليها كما هو حال الأباء .

ولا يختلف الأشقاء العرب في هذا الشأن عن إخوانهم المصريين فقد انصهروا جميعاً في بوتقة واحدة واكتفهم وطن واحد . بنظمه وعاداته وتقاليده فلا نستطيع أن نجد ملامح فارقه تميز الشامي عن العراقي عن اليمني أو الليبي أو التونسي أو المغربي . فيما يتعلق بأحوالهم الاجتماعية في النمسا اللهم إلا بعض العادات التي تبرز في مناسبات خاصة كالزواج والوفاة وهم أيضاً كإخوانهم المصريين لم

تستطع الفترة الطويلة التي مضت عليهم في الوطن المهجر. أن تمحو
بصمة الوطن التي جاءوا بها منذ الخمسينات وإلى يومنا هذا .

الصورة العامة لهذا الجيل :

قلت إن هذا الجيل الذي رأت أوربا من خلاله الوجه العربي
واحتكت بهم احتكاما مباشرا منذ أكثر من أربعين عاما فوجدت من هؤلاء
الشباب الرغبة في الإقبال علي العلم . فأكبر أهل البلاد فيهم هذه الروح
وأحسنوا معاملتهم ولم يكن في الزواج من نساء أهل هذه البلاد أدنى
مشكلة . إذ هو الرجل المتخصص في نوع مهم من أنواع المعرفة .
الشديد الثقة في نفسه المعترف بكرامته فلا يخالجه الشعور بالدونية ولا
تعكر صفوه عقدة الخواجة كما يقولون وقد انعكس هذا الشعور علي
زوجته وأولاده سواء آكانت الزوجة من الوطن المضيف أو كانت من
الوطن الأم، وللحق فإن الزوجة النمساوية كانت تدرك أن زوجها أثرها
ليؤسس معها أسرة مستقرة لا ليرفع بها خسيسته لأنه في شخصه كريم
وفي حياته عزيز فلا مجال للتعالي أو المنة عليه . فهم في الجملة سعداء
في حياتهم وأولادهم وهم مستريحون ماديا مستقرون أسريا مرموقون
اجتماعيا وعلاقتهم وثيقة بأصحاب النفوذ وأحيانا بصانعي القرار وكثيرا
ما ينعكس هذا بالإيجاب في مساعدة أبناء وطنهم وتذليل الصعاب والعون
في حل مشكلاتهم كما أن أكثرهم حسن الصلة بدينه قوي الارتباط بربه
شديد الاعتزاز بتاريخه وأمجاد أمته وهم في هذا سباقون للخيرات لهم
حضور قوي في مجالات البذل والعطاء إلي جانب ذلك التمتع بالسيادة
علي البيت والاحتفاظ بهيبته في أهله غير متأثر بمآرب يسعى إليها من

خلال زواجه لا قانونية ولا مادية ولا اجتماعية . ومن ثم كانت الزوجة أحرص عليه وأرغب فيه ولما كان لهذا الجيل مثله وقيمه كان العامل جذب لزوجته إلى الإسلام ولغيرها ممن تربطه بهم وشائج وصلات . هذا في الأغلب الأعم لأنه من المسلم به أولاً وأخيراً " أن من يرد الله يهديه يشرح صدره الإسلام .

وتجدر الإشارة هنا أن الأسر تكونت في أعقاب المعاناة من آثار الحرب المدمرة في أوربا وكانت النمسا إذ ذلك تعاني فقراً في المال وفقراً في الرجال فإذا ما وجد الرجل المكثف ماديّاً المرموق اجتماعياً كان أمنية لكثير من النساء الاتى تبحثن عن زوج يحميها ويكفل لها الحياة الكريمة . ومع أن هذا الجيل كان ينفق علي نفسه من دعم دولته أو علي دعم أهله في وطنه فإنه كان متمتعاً بحياة كريمة ودخل مادي يغبطه عليه الكثير من أهل البلاد .

الجيل الثاني:

- في مطلع السبعينيات تعالت صيحات الانفتاح وتنامت تطلعات الشباب وتعلقت الأنظار البعيدة خارج حدود الوطن وتدافعت الشباب باحثه عن العمل رغبة في الخروج من المأزق الاقتصادي وتحسين المستوى المعيشي وتديبر الإمكانيات للدخول في المستقبل بخطى ثابتة وقدرات لائقة تمكن من بناء الأسرة وتأسيس البيت وربما مساعدة الأهل وغير ذلك من الآمال والطموحات التي جعلت الخروج من الوطن ضرورة لا بديل عنها .

- وألقي بعض الشباب عصا الترحال في البلاد العربية وولى بعضهم وجهه شطر البلاد الأوروبية وكان حظ النمسا من هؤلاء الشباب غير قليل .

- وهذا الجيل يختلف عن الجيل الأول من عدة وجوه :

-١ الجيل الأول جاء لمقصد أسمى وهو طلب العلم إما مبعوثاً علي نفقة الدولة أو الترشيح لمنحة علمية أو راغباً في درجة علمية علي نفقته الخاصة ودعم الأسرة ثم خطت الأقدار مسيرة حياته علي النحو الذي أسلفنا ، لكن هذا الجيل كانت دوافعه إلي المهجر هي البحث عن العمل أكثر من العلم، وطلاب العلم منهم قليل وحتى هؤلاء أيضاً كان العمل هو وسيلتهم إلي العلم وإن تضاعفت سنوات الدراسة وطالت مدة البحث والطلب .

-٢ ومن الإنصاف أن نقرر هنا من أبناء هذا الجيل علي قدر معقول من العلم والمعرفة فبعضهم من خريجي الجامعة وكثير من الحاصلين علي الثانوية العامة أو ما يعادلها وأكثرهم من أصحاب المهن أو ممن لا حرفة لهم ونظراً للضائقة المالية التي ذاقوا مرارتها في بلادهم والمستوي الاقتصادي المتواضع لأهلهم لا سيما في القرية المصرية والعربية التي يفتقد فيها الإنسان كثيراً من الضرورات .

-٣ تحت ضغط المعاناة وقسوة الحياة ألح عليهم هاجس الرغبة في تغيير هذا الواقع فداعبت أحلامهم " خضرة الدولار " والمرأة الشقراء والمركز المرموق في إحدى الشركات أو أحد المصانع

والحياة الأوروبية التي يقرأ عنها في الكتب ويرى جانباً منها في وسائل الدعاية والإعلام .

مواجهة الحقائق علي أرض الواقع :

لا باس أن يحلم الإنسان بمستقبل سعيد وأن تراوده تطلعات ، وأن يستشرف آفاقاً هنا وهناك وأن تنتعش شجرة الآمال في قلبه وأن تلوح الابتسامة العريضة علي ثغرة فبقدر ما يطمح الإنسان بقدر ما يكون العزم وبذل الجهد .

وعادة ما يختلف الواقع عن الأماني والآمال وبحيث يعود للإنسان توازنه فيعيد حساباته ويقدر لقدمه قليل الخطو موضعها حتى يستطيع أن يتكيف مع الواقع الذي فاجأه بما لم يرد في حساباته في لحظات السكرة وعندما تذهب السكرة تحل محلها الفكرة .

وجد هؤلاء الشباب أنفسهم وجها لوجه أمام مجتمع مختلف تماماً عن مجتمعهم في أعراقه وقيمة وعاداته ونظراته العامة للحياة في شتي جوانبها وللكون بما يكتنفه من أسرار ووجد أمامه أن لهذا المجتمع قوانين ونظم وضوابط وأنه ليس كما تصوره - سداها مداها - لكل شارد أو وارد .

إذ يلزمه المجتمع بالحصول علي تصريح عمل ويلزمه بالحصول علي التصريح بالإقامة القانونية في البلاد .

أما الحصول علي الجنسية فمسألة في غاية العناء إلي جانب هذا كله لا بد علي وجه السرعة أن يدبر له محل الإقامة ومصدر الرزق لأنه لا

يمكن أن يعيش حالة علي غيره في بلد لا يعرفه فيه أحد والمعارف لا
تصبر كثيراً في مثل هذه الظروف .

تنازلات بعضها فوق بعض :

توارت وراء الحجاب آمال الشخصية المرموقة في المصنع أو
الرجل المهم في الشركة بل الطبيب الأشهر في المستشفى وحل محلها
الرضا بما دون من الأعمال الشاقة كتوزيع الجرائد والإعلانات والعمل
المضني في المطابع ومحلات الخضار والجزارة بأجور متواضعة إلي
جانب الصبر علي الطبيعة القاسية ببردها القارس وتلجها المؤلم وحرارتها
القاسية ولم يجد البعض بدا من الرضا بالعمل المحظور شرعا في محلات
الخمور والملاهي الليلية وبيع الخنزير وعدم القدرة علي التحفظ في طعامه
وشرايه في شخصه هو فضلا عن غيره .

ولا نزاع في أن هذا النمط المعيشي ترك آثاراً نفسيه غاية في
السوء لا سيما أصحاب الحس الديني اليقظ ومن لديهم قدر من الفقه يتبينون
به معالم الحلال والحرام فمنهم من ترك العمل ومنهم من أثر البقاء علي
مضض إلي أن يجعل الله له من هذا الضيق مخرجاً وأن يجعل له من أمره
يسراً .

الخروج من المأزق :

من المحال أن تبقى الحياة علي وتيرة واحدة لا تتغير ولا تتبدل
فإن تداول الأيام سنة من سنن الله الكونية ومن السنن الإلهية أيضا ارتباط
الأسباب بنتائجها . ولا يشذ عن ذلك إلا ما كان من قبيل الخوارق أو
المعجزات .

ومن ثم لم يكن في وسع هؤلاء الشباب أن يستطيع صبرا علي المعاناة اليومية فكان لابد من البحث عن بديل أكثر وأقرب منالا وأحفظ للكرامة وأبعد عن المهانة وأملك للسيادة علي النفس واختيار الوقت المناسب لأداء العمل وكسب الرزق .

فاتجه الكثير منهم إلي الحصول علي رخصة قيادة لإمكان استلام سيارة تاكسي - من إحدى الشركات أو أحد الأفراد المالكين لهذه السيارات وأصبح الاتجاه يشكل ظاهرة بين أفراد هذا الجيل .

وقد أدى الاتجاه أيضا إلي التعارف علي النساء والإلحاح في تعلم اللغة الألمانية ، وأصبح الطريق مفتوحا إلي الخروج من مأزق أخر وهو مأزق - الجنس - إذ لم يكن مقبولا عند الكثير منهم أن يظل هكذا يتعثر في وحل الحرام في الملاهي والمراقص الليلية وهو المسلم الذي يؤمن إيمانا جازما بحرمة كل هذه الممارسات وأن البديل المشروع لابد أن يكون محل اهتمام كبير لأنه تحت ضغط المجتمع سيكون أعجز عن مقاومة الطبيعة الإنسانية التي تنطوي علي طاقات كامنة أودعها الخالق سبحانه وأن اختزانها في النفس يؤدي إلي الأمراض النفسية والانحرافات السلوكية والبديل إما الزواج أو الاتجاه بالمسارات الباطلة .

ولما كان الإسلام يحرص علي توجيه طاقات الإنسان إلي الحب والكره والعمل والجنس في مسارتها الصحيحة وفيما يعود علي الإنسان بالخير في الدنيا والآخرة وجه طاقة الكره إلي كراهية الشيطان وكراهية الفسوق والكفر والشرك ووجه طاقة الحب إلى حب الله ورسوله والمؤمنين ووجه طاقة العمل إلي العمل الصالح والأبحاث النافعة والعلم الجاد ووجه

طاقة الجنس إلى الزواج الشرعي وإلى إنجاب ذرية صالحة والاستمتاع المشروع وتصريفها بما يرضى الله سبحانه وتعالى.

وإذن فإن الشباب الذي اتجه إلى العمل الجاد والزواج المشروع من المصريات أو العربية أو أهل الكتاب من النمساويات أو اليوسنيات المسلمات قد وضع أقدامه على الطريق الصحيح شرعا وقانونا .

والذي ينبغي أن يذكر هنا فيشكر لكثير منهم أنه كان سببا في هداية زوجته إلى الإسلام وتأسيس بيت ترعاه أم مسلمة حسن إسلامها وأحسن تربية أولادها .

بعض مشاكل هذا الزواج :

يعتبر الزواج وتوابعه من الإنجاب ومسئوليات الأطفال من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية . وإذا كان الزواج المشروع من أهم الأمور التي رغب فيها الشرع وحث عليها ووضع لها الضوابط والقواعد وأحاطها بسياج من التشريعات العادلة . فإنه بالرغم من هذا كله لم تسلم الزيجات التي تمت في هذه البلاد وخارج حدود الوطن الأم . من بعض المآخذ والمخالفات الشرعية ولنضرب بعض الأمثلة الدالة على حجم المشكلة وتنوعها .

١- بعض الشباب وصل إلى طريق مسدود في محاولة الحصول على الإقامة القانونية . فلم يجد غير الزواج من امرأة نمساوية دون الاهتمام بالمستوي المادي ودون مراعاة فارق العمر بينها وقد يتم الزواج على أوراق رسمية فقط وبعدها لا يعرفها ولا تعرفه وكل منها يمارس شئونه ويحيا حياته لا يدري عن الآخر شيئا ، وهذا

الزواج القهري ومدفوع الثمن من أجل الاستعانة بوثيقة الزواج في حل مشكلته الخاصة سواء كانت تتعلق بالإقامة أو التعجيل بالحصول علي الجنسية أو الأحقية في استلام سكن أفضل أو قرض من أحد البنوك . أو غير ذلك من المشاكل الخاصة .

٢- بعض الزوجات تشتترط البقاء علي دينها ، وعدم التخلي عن النمط الذي نشأت عليه في طعامها وشرابها فتأكل الخنزير وتشرب الخمر وتدخن التبغ وتمارس كافة الحقوق التي يكلفها لها المجتمع وقد يقبل الزوج في أول الأمر نظرا للرجبة في حل مشاكله القانونية كما أشرنا وأملا في أنه مع طول الإقامة يمكن أن يجد طريقا إلي إقناعها وهديتها فمنهم من يوفق ويكتب له الفلاح ويشرح الله صدر زوجته إلى الإسلام من جلال تغليب الجانب الإنساني والتعامل بالخلق الإسلامي الذي يفسح الطريق للإيمان " فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام " .

وعندئذ تمضي الحياة هيئة لينة رخيبة سعيدة وينشأ الأولاد في أحضان أسرة متجانسة رحيمة ودودة فلا خلاف على منهج على التربية ولا خلاف في اختيار الاسم ولا إثبات الديانة ولا الجنسية لأن الإسلام الذي جمع بينهما رفع كل العقبات التي تقبل الانفجار في أي وقت من الأوقات .

أما من بقيت علي دينها فلا يخلو لها من أمرين :

الأول : إما أن تحرص علي حياتها الزوجية وتقتنع بزوجها وأولادها ولا ترى حرجا في أن تفوض الزوج في رسم منهج تربية الأولاد

ومباشرة دوره في الأسرة كأب مسئول مسئولية كاملة ولا ترى
بائسا في أن تقدم العون والمساعدة وشد أزر الأب في أداء رسالته

الثاني : وإما أن تصر علي أنه لابد أن يكون لها من الأمر شئ واستغلال
الميل الطبيعي من الأبناء إلي الأم . فتملي إرادتها علي الزوج في
اختيار أسم الولد وديانته ونمط تربيته وقد تتقاطع الخطوط في
داخل الأسرة بين أسلوب الأب في التربية كرجل مسلم وبين الأم
كزوجة غير مسلمة لها عقيدتها ونمط حياتها وأسلوب تربيته ومثل
هذه الحالات لا تعمر طويلا وتنتهي غالبا بالانفصال وللانفصال
مشاكله التي نعرض لها بعد قليل .

٣- يحدث أن يقع بعض الشباب في مأزق أشد مرارة من كل ما سبق
حين يكون مقياس الاختيار عند الشباب هو الثراء أو حل المشكلة
ومقياس المفاضلة عند المرأة النمساوية هو شباب الزوج وفحولته
ونفورها من حياة الوحدة والرغبة في استقرار مرغوب في رحاب
زوج يفضي كل منهما إلي الآخر بمكنون أسرارهم ومخبوء قلبه
ولكنه يفاجأ بعد أن يرتب حياته علي نمط معين أن تصارحه بما
يؤكد أنها كانت في بدء حياتها تؤمن بعقيدة النصرانية وتدين بما
يدين أهل هذه البلاد وتقرأ الإنجيل وتذهب إلى الكنيسة ولكنها لم
تجد في كل ذلك شيئا يرضي عقلها ويريح ضميرها ومن ثم فقد
قررت أن تريح نفسها من أي عقيدة وأن تعيش بلا دين ولن تسمح
لأحد بالتأثير أو المناقشة في هذا القرار أو قل هذه " الردة "

والخطب يهون إذا لم يكن هناك أولاد في مثل هذه الحالات لأن الشباب لا يملك إلا أن ينفصل عنها لأنه يحرم عليه البقاء مع امرأة بلا دين .

أما حين يكون بينها أولاد فإن الزوج يعاني مرارة الحياة بصورة لا يحسد عليها فإما أن يهرب بأولاده إلي وطنه الأم . وإما أن تبادر الزوجة بضم الأولاد إليها بسلطة القانون وعندئذ يترك الرجل المسلم أولاده المسلمين لأم لا دين لها تتشبههم علي الإلحاد والكفر بإله وإنكار كل الأديان .

وهذه مأساة جد خطيرة وربما تكون هذه حالات قليلة ولكنها موجودة وتشكل واقعا لبعض الأحوال الاجتماعية .

من مشاكل الزوجة العربية :

من المتصور أن تكون حياة الزوجة العربية المسلمة خالية من المشاكل لأنها غالبا ما تكون من نفس الوطن الأم ويربطها بالزوج الدين والعادات والتقاليد .. وربما صلة الدم أو القرابة أو الزمالة في العمل أو حتى في الدراسة ... الخ .

وبادئ ذي بدء يجب أن نقرر هنا أم هذا الزواج هو أكثر نجاحا وتوفيقا والأولاد يتمتعون بسلام أسرى في حياة رعية وعيش هنئ وتفاهم يربط العلاقة بين الآباء والأمهات ونسائم المودة والألفة . تعطر جو البيت وتحميه من عواصف الغربة وزوابع الخلاف .

هذه هي السمة الغالبة علي حياة الأسرة العربية في بلاد المهجر عموما وفي الأسرة المصرية هنا خصوصا ، ومع ذلك فإن بعض الأسر

عجزت عن الالتحام بهذا المجتمع والتفاهم معه واستيعاب الواقع الجديد الذي واجهته الزوجة في هذه البيئة وبعيدا عن عامل الدهشة الذي يصيب الزوجة عندما ترى مظاهر التحلل من القيم الأخلاقية والضوابط الدينية والانتقال المفاجئ والمذهل من الوطن الأم إلي وطن غريب ملئ بكل العجائب والغرائب وبعيدا عن كل هذا . فإن سبب الصدع الذي يصيب الأسرة وينغص عليها حياتها - فيما يبدو لكاتب هذه الورقات يتمثل فيما يلي :

١- مثل هذه الأسرة تفتقد في أساسها القدر الواجب من الصراحة والصدق في الخطوات الأولى للزواج فالشاب يبدو في أعين أهل الفارس العائد من البلاد الأوروبية حيث العلم والنظام والحضارة والتقدم فضلا عن المال والجمال، والمجتمع الذي يكفل كل وسائل الرفاهية التي يتطلع إليها الناس في كل مكان، ولسان حال الشاب قد يوقع علي كل هذه التصورات بالإيجاب وقد يضيف هو إليها بعض كلمات عنترية وحكايات أسطورية فيبهز الأنظار ويملأ العيون ويغبطه الجميع علي هذا الذي أفاءه الله عليه من النعم السابغة ظاهرة وباطنة .

والنتيجة الحتمية لهذه المقدمات أن الأسرة تبادر بقبول العرض دون قيد أو شرط ويتم الزواج في هذا الجو بأسرع ما يكون ولا لوم علي الزوجة إذا سبقتها أشواقها إلي هذه البلاد وأنشأت في خيالها مجسما لقصر الزوجية في بلاد التقدم والحضارة وأنها عما قريب قد تكون إحدى سيدات هذا المجتمع الذي يتحدث عنه الجميع وتحظى بجبال الزبد وبحار العسل .

- وما " إن تصل الزوجة إلي بلد المهرج فإذا بها تجد هول و غرابة ما تجد سكنا لا يتجاوز غرفة واحدة وصالة صغيرة هي مطبخ وغرفة طعام والحمام خارج المسكن مشترك مع أسر أخرى وربما شباب في غرفة مجاورة وهذا أول انهيار مفاجئ للأمال العراض التي أسعدتها فترة من الوقت وأن كل الذي سمعت كان طواحين للهواء أسفرت عن سراب عندما جاءته لم تجده شيئا .

٢- ليست هذه المفاجأة هي أول صدع في البيت الجديد بل يتبعها بقاء الزوجة في هذا المحبس طوال الوقت تنتظر الزوج الذي يخرج للعمل قبل أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود ويعود في ظلم الليل مرهقا تكاد تنقطع أنفاسه من شدة التعب ولا يتسع وقته لأكثر من تناول الطعام ثم يخلد إلي الفراش فيغرق في نوم عميق استعدادا لرحلة الشقاء مع الفجر الوليد فليس للزوجة في حياته وجود اللهم إلا الراحة الأسبوعية وهي غير كافية لتعويض الزوجة الكبت والحرمان طوال الأسبوع وبعض الزوجات تضيق ذراعا بهذه الحياة الرتيبة الكئيبة فتطالب الزوج بنوع من الترفيه المشروع لها ولو بالحديث معها لبعض الوقت أو المسامرة العابرة أو الزيارة لإحدى الأخوات .. أو الخ .

وإذا لم يظن الزوج إلي أنه قد وضع الزوجة في مربع لن تصبر عليه طويلا وعليه أن يتدارك الأمر بالقدر الميسور من المعاشرة بالمعروف وامتصاص الغضب المكتوم الذي تحترق به زوجته ولا تكاد تبين . وإلا أعلن الغيظ عن نفسه وصارحته بأن

الزواج كان تمثلية خادعة وقرار غير مسئول أدى إليه ثقة في غير موضعها . عندئذ يتم الانفصال بمشاكله .

٣- بيد أن بعض الزوجات قد ترجى الانفصال إلي حين حتى تحصل علي الإقامة القانونية لا سيما إذا حدث إنجاب ليكون حظها من الضمانات الاجتماعية أكثر وبعدها تطلب الطلاق وتضم الأولاد إلي حضانتها ويلزم الزوج بالإنفاق علي الأسرة في جو من التراضي بينهما حتى لا تصدر المحكمة قرار بضم الأولاد إلي أسرة نمساوية ترعي شئون تربيتهم وما يتعلق بحياتهم إلي أن يبلغوا السن القانونية فلا يجدون بدأ من الاندماج في المجتمع بكل ما فيه .

حضانة الأولاد وتربيتهم :

الرحمة بالصغير في التصور الإسلامي " فطرة ودين " والمسلمون في هذه البلاد سواء منهم المتجنسين أو المقيمين الوافدين يحرصون غاية الحرص على رعاية الأبناء وسلامتهم وغالبا ما تكون الأم هي الحاضنة الأولى لأولادها طول الوقت أو أغلبه إن كانت تؤدي بعض الأعمال ، وعادة ما تكون دور الحضانة هي البديل في ساعات شغل الأم وللدولة دور مهم في دعم الأسرة ماديا لتلبية مطالب الأبناء منذ الطفولة ومراحل التعليم ومن ثم لا يصبح الأبناء مشكله في مرحلة الحضانة أو التعليم .

بالرغم من عددهم البالغ ٤٠,٠٠٠ كما ذكر في الإحصائية إلا حين يحدث الشقاق بين الآباء والأمهات والأطفال دائما هم ضحية هذا الشقاق الذي يدمر الأسرة فسلطة القانون تعطي الأم الحق في ضم الأولاد

إليها حتى وأن كان سبب الفارقة من جانبها . ويلزم الأب بالرعاية المادية
للأولاد مع العجز عن ممارسة أي دور مؤثر في التوجيه والتربية.
ويضاعف من حسرة الأب علي هذا العجز كون الأم علي غير دين
الأب حيث تتفرد هي بصبغ الأولاد صبغة غير إسلامية في مرحلة تعد من
أخطر المراحل العمرية .

- وبعض الآباء تملو عنده نبرة اليأس والشعور بالعجز فيؤثر العودة
إلي الوطن الأم ويترك أولاده وزوجته في وطن المهجر وسط مخاطر
لا يعلم مداها إلا الله تعالى وقد يلجأ إلي خطف الأولاد ويعود إلي بلده
بيد أن الأم المسلمة غالبا ما تستطيع أن تعبر المشكلة وتتجاوز المأساة
وتوفق إلي حد بعيد في توجيههم إلي وجهة صحيحة ربما لا تكون
مثالية ولكنها أقرب ما تكون إلي الصواب لأن ضغط المجتمع بقيمه
وتقاليده وأنماط سلوكياته يجعل جهود الأسرة أحيانا أشبه ما تكون
كالنحت في الصخر لأنها سباحة شاقة ضد تيار شديد يؤثر بالسلب
علي الأولاد لما يفرضه عليهم النموذج الغربي الممقوت .

جهل الأبناء لغة الآباء :

ومن آثار ذلك أن الأولاد لا يتحدثون في الغالب لغة الوالدين في
البيت سواء كانت هذه اللغة هي اللغة العربية أو التركية وبعض الآباء لا
يعني بهذا الأمر وغالبا ما يباهي بأن أولاده لا يتكلمون العربية وأنهم لا
يحسنون إلا اللغة الألمانية وتتحول لغة الآباء تدريجيا إلي لغة أجنبية

بالنسبة للأطفال والشئ نفسه ينطبق على الثقافة والدين فالأطفال يتحركون بين عالمين أو ثقافتين متخلفتين دون أن يشعروا بانتماء كامل لأي منهما وتواجه بنات المسلمين بصورة خاصة العديد من المشاكل بسبب اختلاف التقاليد الإسلامية عن عادات المجتمع فيما يخص الاختلاط والجنس والزواج ولا تقل مشاكل الآباء عن مشاكل الأبناء صعوبة لأن محاولة التأقلم مع المجتمع بعاداته وتقاليده غالبا ما تصطدم من الناحية الأخرى بالتعاليم الإسلامية والعادات الشرقية .

في قاعة الدرس معاناة أشد :

يعاني الأولاد حرجا شديدا في قاعة الدرس من المعلومات التي تميلها روح التعصب والاستقلال العرقي الذي يعصف بالعلاقات الطبيعية حيث يزخر الكتاب المدرسي بالطعن على المسلمين ويتهمهم بأسوأ الاتهامات وينزل بهم من مصاف البشر إلى منزلة الوحوش ويزري بهم وبعقيدتهم وحياتهم الاجتماعية والثقافية ويحط من شأنهم في تاريخ الحضارة الإنسانية وما يلقنه التلاميذ في مدارسهم وشرح معلمهم يرسخ في أذهانهم ونفوسهم ويصاحبهم في مراحل حياتهم .

الموجة الثالثة:

هم أغلب الشباب الذين انضموا إلي الجاليات الإسلامية في أوربا واصبحوا جزاء من العمالة المهاجرة منذ عشر سنوات أو أقل ومازال غيرهم يطرق الأبواب عاما بعد عام ويلاحظ علي أكثرهم أنهم يتمتعون بروح إسلامية عالية وعاطفة دينية قوية نظرا لمعاصرهم للصحة

الإسلامية في بلادهم وحرصهم علي التزود بالفهم لطبيعة هذه الشعوب من خلال تجارب وخبرات الذين سبقوهم وخاضوا التجربة قبلهم وما إن ألقوا عصا الترحال علي تراب هذه القارة حتى وجدوا من يزودهم بما هم في حاجة إليه من صور العون وأشكال المساعدة فلم يعانون متاعب الغربة ولم يذوقوا من مرارتها ما ذاقه الذين تبوأوا هذه الديار من قبلهم وقد يسر لهم ذلك سرعة الارتباط بالعمل المناسب أو غير المناسب إلي حين إذ العمل هو أقوى الدوافع التي أخرجتهم من بلادهم والرغبة في الانتصار علي مشكلة البطالة التي ضربت أطنابها في كثير من المجتمعات في العالم كله . ولأنهم كما قلت يتمتعون بروح دينية عالية فإن واقع المجتمع - وما فيه من سلوكيات لا تتسجم مع الحث الإسلامي والروح الديني قد ألهمت فيهم ضرورة الخروج من هذا المأزق ورفض الاندماج في هذا الواقع الجديد - لا سيما الواقع الذي لا يقره الإسلام فأصبح لديهم سببان مهمان :

الأول : الاطمئنان علي مصدر الرزق وخلو البال من هم مشاكل العيش .

الثاني : الرغبة في الاعتصام بقيم الدين وصيانة النفس، وهما أمران كافيان لإتاحة الوقت للتفكير في إيجاد الملاذ الآمن الذي يعتصمون به . فهداهم الله تعالى إلي تجميع الجهود المتواضعة والبحث عن الأماكن التي يمكن استئجارها وإعدادها للصلاة بعد التغلب علي كل العقبات وبذل كل المحاولات في إطار المعمول به في هذه البلاد .

والتقيد بالشرعية التي تقن كل شئ يخص الفرد أو الجماعة أو يتعلق بأمور العقيدة أو الحياة وعلي أيدي هؤلاء تضاعف عدد المساجد أو قل الأماكن التي أعدت للصلاة وإقامة الجمعة والجماعة وعلي أيدهم أيضا استيقظ الحس الإسلامي عند كثير من إخوانهم المسلمين من أبناء وطنهم أو من الأوطان الإسلامية الأخرى الذين أستغفلهم الشيطان وسيطر عليهم الذهول واقتحمت الشهوات، ومآرب الدنيا أقطار أنفسهم فاحتجب الإيمان وراء هذه الأهواء إلي أن جاءتهم رحمة الله تشق الحجب وتخرجهم من الظلمات إلي النور فكانت العودة واليقظة والتعارف السعيد علي بيوت الله من جديد وأكثرهم نحمد الله الآن يعتادون المساجد ويحرصون علي النفقة في أمور دينهم ولا حرج أن نقرر هنا أنهم من أهل الإيمان عملا بقول أسعد الخلق صلي الله عليه وسلم : (إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان).

الحياة الاجتماعية :

أعني هنا حياة هذا الجيل وفلسفته في بناء أسرة تعصمه من الزلل إن استطاع ذلك وأعني أيضا أن الذي نقرره في شأن يخصهم فإنه ينسحب علي مجموعهم لا علي جميعهم إذ أخطأ والخطيئة قدر الإنسان في الحديث. كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .

إننا نذكر لهم ونشكر جهادهم لأنفسهم باتخاذ الصوم وجاء، والارتباط بالمساجد والأمانة في عملهم والسيرة الحسنة والاندماج الحذر في مجتمع المهجر والرغبة الصادقة في اعفاف النفس بالزواج لمن استطاع منهم عن طريق الأسرة المسلمة أو الزوجة التي يطمئن إليها من

أهل البلد المضيف من غير المسلمات وأكثرهم يفلح في إنارة الطريق لها نحو الإسلام فيشرح الله صدرها إليه وبعضهم يأخذ برخصة الإسلام فيحترم عقيدتها إلى أن يقضي الله في أمرها .

وأخيرا ينتشلها من وحدتها بما لديه من طاقة إيمانية وخلق إسلامي وفهم صحيح لأسلوب الدعوة الراشد لا سيما المودة والرحمة والسكن ومن ثم فإن مشاكلهم الاجتماعية أقل من سابقهم وهي أقل كذلك من ناحية أخرى إذ يعتمد الكثير منهم فيتزوج من بني وطنه الذين تربطهم بهم أواصر الدين أو القرابة واللغة والعادات والتقاليد .
أولادهم :

كثير منهم لم تظهر علي السطح حتى الآن مشاكل أولادهم فإنهم لقرب العهد بالزواج مازال أولادهم في سن الطفولة ومن شب من أولادهم يتولي الأباء ربطهم بالمسجد وتعليمهم اللغة وحفظ القرآن وما يشغل عنه الأب في ساعات العمل بالليل أو بالنهار تضطلع به الأم بما لديها من وقت والتقائها مع الأب علي الهدف، والحرص علي الأبناء وربطهم بالمجتمع في المدرسة وبزملاتهم خارج البيت تحت إشراف ورقابة الأسرة وفي إطار ضوابط تنظم ولا تكتب ويندر وأن تجد فيهم من أستهوته الشياطين وتتكب سبيل المؤمنين .

ومن هذا القليل النادر تطفو على السطح مشاكله التي تشكل جزءا من المشاكل العامة للمسلمين في هذه البلاد .

وقد سبقت الإشارة إليها في أحوال الطلاق وحضانة الأبناء والنفقة وآثار الزواج من غير المسلمات لأن التحاكم يتم أمام القوانين المتعارف

عليها في هذه البلاد وقد يتسامي كل منهما أو أحدهم فيستوعب الموقف ويقدم حلا منصفاً يرضي غريمة أو يسوق الله لهما حكماً عدلاً يريد الإصلاح فيوفق الله بينهما ويحميهما من لهيب المحاكم وتلاعب المتاجرين المتربحين بمشاكل الناس وغالباً ما تكون العودة إلى الوطن الأم هي المخرج الأنسب في الفصل في كل المنازعات وفض كل الخلافات بكل ما يترتب على ذلك من إيجابيات أو سلبيات حتى يمكن المحافظة على جمال الصورة العامة للمسلمين وإزاحة دخان المشاكل عن ساحة المحاكم في البلد المضيق فإن قتام هذا الدخان يعلو وينعقد أخيراً على رأس الإسلام فيشوه الوجه الحسن ويضاعف الخجل ويضع في يد أهل الزيغ سلاح البغي والكيد .

نظام الأثر وتوزيع التركات :

للإسلام فلسفته الخاصة في توزيع الثروة وتداول المال توخياً للعدل وتحقيقاً للمساواة وأظهر ما تكون هذه السياسة في نظرته إلى التوارث والتركات التي يتركها الأموات للأحياء وتوزيع الأنصبه وتحديد الحقوق لأصحابها بما لا يدع مجالاً لرأي واجتهاد لأحد، المشرع هو رب العالمين وأحكم الحاكمين فالمسألة صفاها القرآن وجلالها في دقة بالغة وحكمة حكيمة.

ومنذ استقر هذا البيان القرآني والبلاغ الرباني والضمير المسلم يتلقى هذا الأمر بالأذعان واليقين بأن هذا هو العدل الذي لا تشوبه شائبة حيف أو ظلم .

فأذعن له المسلم في كل مكان يعيش فيه وقد جرى التوارث في بلاد المهجر وفقا للتشريع الإلهي الذي تناوله علي الفرائض والميراث طبقا لما تقرر في القرآن وشروحات الفقهاء المؤسسة علي الكتاب وسنته المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ولا يصطدم هذا الواقع إلا في حالة الزوجة التي اعتنقت الإسلام قبل الزواج أو بعده ثم تؤول إليها تركة أحد من أقاربها كالأب والأم أو من هو أقرب الناس إليها وهم علي غير الإسلام فتواجه بالنص الشرعي أنه لا يتوارث أهل دينان وهي بإسلامها علي غير دين مورثها فيحول ذلك دون ميراثها ، وأحيانا تكون أموالا ضخمة وثروة طائلة وهي في حاجة إليها ويتحدد الموقف هنا علي أساس ما لديه من رصيد الإيمان والاستسلام لأمر الله ورسوله فمنهم من يرد هذه التركة ويتركها للدولة ومنهم من يحللها لنفسه من باب الحاجة واعتبارها في منزلة الوصية أما خلاف ذلك فالشريعة الإسلامية هي الحاكمة في حسم ما يتعلق بهذا الشأن سواء كان يخص الرجال أو النساء .

المسلمون بين المثالب والمطالب :

كأي جماعة بشرية تفد علي مجتمع لا تعرفه ولا يعرفها فإن هذا المجتمع يرقبها بعين فاحصة ونفس راضية أو رافضة وسواء أكانت هذه الجماعة مهاجرة أو زائرة مطلوبة أو مرغوبة علي المستوى الرسمي أو الشخصي فإن هذه الجماعة الوافدة تظل في كل الأحوال في بؤرة الاهتمام ودخل دائرة الرصد والنقل فلا غرو إذن أن نجد ثمة مواقف تترجم عن

نقد لاذع أو هجوم يتجاوز حد الإنصاف أحيانا وقليل ما يلوذ باللياقة الإنسانية والخلق الكريم .

ونبدأ أولا بمقولة المثالب :

لا مشاحة في أن ثمة حقيقة لا بد من الاعتراف بها وهي اختلاف مناهج التربية والمستوي الاجتماعي والثقافي والأخلاقي والاقتصادي والسياسي بين هذه المجتمعات المضيئة والمجتمعات التي وفدت منها هذه الموجات المهاجرة بعبارة أخرى البون البين بين بلد المهجر والوطن الأم هذه حقيقة يقودنا التسليم بها إلى الغنى عن طول المناقشة والجدل في صحة ما يقال أو المبالغة فيه وهل هو تصوير للواقع فعلا أم هو من قبيل حملات التشويه والتفجير وعقدة الرفض والضيق بالآخر الذي يعتقد أنه جاء يزاحمه في فرص العمل ويقاسمه خيرات الوطن ويشاركه لقمة العيش ويهدد طموحاته في الرزق والغني والكسب واستغلال المكاسب الاجتماعية التي كفلها القانون لكل من يعيش علي تراب الوطن .

وهل إذاعة هذه المثالب تتطلق من هذه الخلفية خلفية الأنا المقبلة التي مازالت تعيش في وهم الدم الأزرق أم أن الحديث عن هذه المثالب برئ من التجني بعيد عن المبالغة ونزعة البغض والكيد وليس صيدا من عالم الخيال بل هو صدى للفعل المتحرك علي أرض الواقع وقبل إصدار حكم أو انحياز إلي رأي دعنا نقف أولا علي هذه السلبيات والمثالب فلعلك تشاركنا في تبين وجه الحق في كل أو بعض ما يقال . وأحب أن ألقت النظر إلي أن هذه المثالب لا تخص جالية دون أخرى فهي رصد لواقع المسلمين عامة، وخاصة الأتراك واليوجوسلاف والعرب إذ أنهم عندما

يذكرون المثالب لا تعنيهم النسبة إلى أي شعب لكن تسيطر عليهم كلمة الإسلام - والمسلمون - ثم يرتبون على ذلك ما يشاءون من أحكام ويلبسون الأرواح والأشباح أثوابا شائكة من مقولات شتى، هذا ما أريد أن أنبه عليه حتى لا يظن أنهم يعنون جالية بعينها . أمر آخر ينبغي أن نشير إليه وهو أن هذه المثالب لا يعنون بها المسلمين الذين هم من أصل نمساوي والذين اعتنقوا الإسلام حديثا أو ورثوه عن آبائهم وأصولهم البعيدة - والقريبة لأنهم نشأوا في نمط الحياة المألوفة للجميع فليس فيهم ما يعاب عند غير المسلمين بل ربما يغبطهم غيرهم لمزايا في جوانب شتى من حياتهم بينما هم محرومون منها بحكم الواقع الذي فرضه عليهم سلطان الأهواء وغلبة الشهوات ويتصل بهذه الجزئية مسألة لا بد من تقريرها وهي أن المواطنين الأوروبيين الذين اعتنقوا الإسلام أصبحوا يشكلون جسرا ما بين المجتمعات الأوروبية والجاليات الإسلامية المهاجرة وهم مثال يحتذى للتكافل الاجتماعي باعتبارهم جزء لا ينفصل عن نسيج هذا المجتمع بحسب الأصل والنشأة وهم لا يتطلعون نظريا إلى استيراد إسلام من إحدى بلدان العالم الإسلامي لتطبيقه في بلدهم وإنما يتطلعون إلى تأسيس إسلام يتأقلم مع المجتمعات الأوروبية التي هم جزء منها وهذا يحتاج لمرونة شديدة والتنازل عن القضايا التي تعوق الاندماج الاجتماعي للمسلمين في أوروبا من أجل تأسيس الإسلام المقبول واعتبار ما سواه مدارس أصولية متعصبة مع عدم إغفال النمو المتعاظم للوجود الإسلامي في أوروبا كما وكيفا .

المثالب تحديدًا :

أولاً : المسلمون - دون تحديد - غير متعلمين وحظهم من الثقافة قليل وحظ النساء من هذا العيب أوفى لأنهم إفرار مجتمعات متخلفة، الأمية فيها غالبية والثقافة فيها محدودة المستوى ، ضعيفة التأثير .

ثانياً : لا يعني المسلمون بمظهرهم فملايسهم غير نظيفة وأثوابهم غير منسجمة ولا يراعون الذوق العام الذي هو سمة غالبية علي كل شئ في هذا المجتمع ولعل مرد ذلك هو عدم الفهم أو الرغبة في ضغط وترشيد الإنفاق لأن المظهر الحسن له أعباءه وتكاليفه وغايتهم التي جاءوا من أجلها هو رفع المستوى المادي ، أما المظهر الخارجي فلا أهمية له لأنه مكلف حتماً ، ومن ثم كانت الهوة عميقة بين مظهر المسلمين ومظهر غير المسلمين ويبدو الفارق أشد وضوحاً بل صارخاً فيما يتعلق بمظهر النساء في البلد المضيف .

ثالثاً : الإبقاء علي مزاعم الماضي من اعتقاد أن هذه الجاليات الإسلامية مع اختلاف انتماءاتها مازالت قابضة في جريمة اضطهاد المرأة والإبقاء علي المجتمع الذكوري الذي يعتبر المرأة للمتاع دون الاعتراف بحق من الحقوق الطبيعية والشرعية ، فالضغط واقع على المرأة بشكل لا حيلة لها فيه .

رابعاً : عابوا علي المسلمين إهمالهم في نظافة بيوتهم بعد إهمالهم في نظافة مظهرهم فبيوتهم ليست ملائمة للمستوي الحضاري الذي

يعيشون فيه .ورائحة منازلهم مميزة واللمسات الجمالية معدومة
واهتمامهم بالمنظفات قليل ... إلخ .

خامسا : إهمالهم في تربية أطفالهم ونظافة أثوابهم وحسن مظهرهم ويتجلى ذلك في الحقائق والميادين ووسائل المواصلات إذ تكاد تنحصر المشاكل فيهم كالاشتباك بالأيدي والتراشق بالألفاظ البذيئة والسلوكيات المنفرة والجفوة في التعامل مع الآخرين ويرجع ذلك إلي كثرة أبناء المسلمين وعدم السيطرة عليهم والوفاء بمطالبهم كما أن هذه السلوكيات المرفوضة ردود أفعال عند الأطفال مع الشعور بالحرمان والدونية أمام الآخرين وليس هذا العيب في الأطفال وحدهم بل الرجال أسوأ حالا منهم فيذكرون من باب الاستدلال .
أن الأتراك في نزاعاتهم مع أنفسهم أو مع الآخرين يعمدون إلي المدى والخناجر وربما الطلق الناري الذي تجده أقرب شيء إلي أيدهم إذا ما نشب نزاع هم أطرافه أو طرف فيه .

سادسا : الجاليات الإسلامية في أوروبا تحوي اختلافاً في القضايا السياسية تبعا لثقافتها أو توجيهات الدول الأم بالرغم من موقف الجاليات الموحد في القضايا المحورية في العالم الإسلامي مثل قضية فلسطين والقدس والمطالبة بمساحة أكبر من الديمقراطية . على نمط ما يشهدونه ويعيشونه في بلاد المهجر ولكن هذا غير كاف في تخفيف حدة التوارث والتراشق بالاتهامات .

سابعا : الحجاب يعاني المسلمون من سياسة العزل العنصري والتمييز المعنوي بسبب ما يقاسونه من أبناء البلد المضيف الذي يرفضون

مظهر الرجال والنساء حيث يتخيلون أنهم يعيشون في بلادهم ويطلقون لحاهم بلا تهيب ويرتدون الجلابيب ويرفعون أصوات أجهزة التسجيل عند سماعهم القرآن دون أدنى مراعاة لحقوق البلد المضيف والعادات أهله وتقاليدهم، وإذا كان هذا بعض مثالب الرجال عندهم فإن حجاب المرأة يبدو عندهم مظهرا مزعجا وشينا مقلقا يضيق به الرجال والنساء ولشدة غيظهم يطلقون ألسنتهم بكلمات غير لائقة لا يعرفها من المسلمات إلا النادر القليل لجهلهم باللغة . وحتى العجائز اللاتي تعودن الحجاب في الوطن الأم لم يسلمن من هذا النقد الشديد لأنه ليس في تصورهن التخلي عن الحجاب لأي سبب من الأسباب .

أما الفتيات فأمرهن مختلف فطائفة منهن لا ترتدي الحجاب ويشعرن علي الرغم من ذلك بأنهن مسلمات وطائفة أخرى منهن ينتظرن حتي الزواج ثم يرتدينه متذرعين بالجلد والصبر علي المشاكل الجمة التي يتعرضن لها في الطريق كالسب واللعن وقد تمتد أيدي المعاكسين إلي الحجاب يريدون تمزيقه .

بيد أن أوروبا يوجد بها محجبات مثل الممرضات والراهبات فلماذا يضايقون المرأة المسلمة ويتركون المسيحيات ؟ إنه الاستعلاء الذي يتعجل الذوبان وفرض الاندماج .

ثامنا : عابوا علي المسلمين، إساءة استغلال قانون المساعدات الاجتماعية والدعم المادي للأفراد الذين قعدوا عن العمل لأي سبب من أسباب المعبرة قانونيا ونظام التكافل الاجتماعي في الدولة لا يرفع يده

عن الذين يمكن أن تشملهم مظلة الحكم الذي يشد حاجة من يتعرض لمتاعب العيلة وطوارئ العجز دون تمييز لشخص علي آخر فإنه في الوقت ذاته يمنع المنتفعين بهذا الدعم من مباشرة عمل آخر دون علم الدولة . لكن بعض المسلمين يخرج علي هذا الحظر فينتفع بالدعم ويباشر بعض الأعمال دون إخطار جهة الاختصاص . وهذا العمل يسمونه هنا باسم يتناسب مع شدة الرفض لهذا السلوك فيقولون «يعمل أسود» أو عمل أسود وهي كلمة مناسبة تماما لرفض هذا السلوك . مع أنه لا خلاف حول ضرورة احترام النظم والقوانين . فلا خلاف أيضا أن المسلم غير المنفرد بهذا السلوك إذ يوجد نظائرها من كل الأجناس حتى من سكان البلاد أنفسهم لأن البشر هم البشر . مع التفاوت يقينا ولكن رمي المسلمين وحدهم بهذا الاتهام ظلم بين وتعسف ظاهر .

: انطلاقا من قناعة الرجل الأوربي أن الجاليات الإسلامية تستطيع أن تلعب دورا في أوروبا سلبا أو إيجابيا لأنها تقف في ميدان المواجهة في أوروبا ولعدم القدرة علي إغفال النمو المتعاظم للوجود الإسلامي كما وكيفا ولأن الإسلام لم يعد مجرد موضوع تتناوله دراسات متخصصة ذات طابع استشراقي أو غيره بل أصبح حقيقة جماعية وشعبية داخل البلد المضيف فلم يجد حرجا في تصور أن هذا الشباب الذى وفد علي البلاد من جيل الصحوة الإسلامية في الأوطان العربية والإسلامية منذ سنوات لم يكن العمل هو همه الأكبر لأنه مازال يعاني مشاكل الحصول علي الجنسية وربما في

العمل أيضا . ومن ثم فإن الهاجس الأعظم لديهم والذي دعاهم إلى الإقامة في جو لا يتلاءم مع قناعاتهم الدينية هو الدعوة إلى الإسلام والتبشير به بين الأوروبيين لاسيما وأن منهم من هو علي قدر كبير من العلم الديني والمعرفة بأساليب الدعوة وقد نجح بعضهم في ذلك نجاحا ملحوظا بين المسلمين الذين انحازوا إلى الإسلام وعادوا إلى سبب جهدهم في هذا السبيل ونستطيع أن نقرر هنا في اطمئنان إليه بسبب أن الذي هيا لهم المناخ الدعوي تحقق نبوءة صاحب كتاب " الإسلام في مفترق الطرق " . قال: ويبدو أن تنامي القلاقل الاجتماعية والاقتصادية وربما أيضا حدوث سلسلة من الحروب العالمية ذات أبعاد لا قبل للمرء بمعرفة حدودها مسبقا وما يخلفه العلم من ضرب للربح سوف تدفع بالحضارة الغربية المادية الغرور بشكل مروع إلى الإغراق في السخف علي نحو يضطر شعوبها إلى أن تبحث من جديد في استكانة ودأب عن الحقائق الروحية وهنا يمكن للتبشير بالسلم أن يجد قبولا .

أما الرافضون فعندهم أن هذا النجاح يؤخر مسير الاندماج في المجتمع والذوبان فيه وينسف فكرة التعايش مع إسلام جديد وهو أمل طالما كرسست الجهود للوصول إليه .

حصاد هذه المثالب :

بالرغم مما فيه هذه المثالب من مبالغات وتجاوزات كثرة وتحميل للمواقف أكثر مما تحتمل وتفسيرات أملاها اجتهاد خاص فإننا لا يسعنا إلا

أن نعترف بأن الواقع يصادق كثير مما جاء فيه ولهذا أثاره وتوابعه التي
آثرنا أن نسميها هنا الحصاد ومن ذلك .

١- الخلافات السياسية والحزبية والمذهبية بين الجاليات الإسلامية
أسهمت في إضعاف الروابط الاجتماعية بينهم من ناحية كما
ساهمت في إضعاف نفوذهم في الدول الأوروبية .

٢- وجود أزمة تمثيل وقيادة حيث أنه في كثير من الأحيان يصعب
على الدولة الأوروبية التحدث مع طرف واحد أو قيادة موحدة و
شرعية تمثل الجالية فيما يتعلق بشؤونها وبالتالي لا تتكلم بلغة
ومطالب واحدة مما يفرغ الجهود المبذولة من التأثير الفاعل في
القرار السياسي للبلد الأوروبي التي توجد فيه الجالية وقد عشت
هذه المواقف وأمثلتها كثيرة .

٣- تراجع فاعلية الأعداد الكبيرة في أوروبا فقد ذكر عالم السكان
الفرنسي ستينياس أن عدد المسلمين يزيد عن مجموع البروستانت
واليهود في البلاد ذات أغلبية من الروم الكاثوليك في بلجيكا
وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا (ويقدر عدد المسلمين في أوروبا الغربية
ب ١٨ مليون وهذا العدد يمثل نسبة ٣ % من مجموع السكان .
ففي فرنسا أكثر من ٢,٢ مليون مسلم وفي ألمانيا مثلهم أيضا وفي
بريطانيا ١,٣ مليون وربما كان العدد الكلي أكثر من هذا لزيادة
القادمين من المسلمين بسبب تزايد الحاجة الي عمالة رخيصة
قريبة من أوروبا) نقلا عن ترجمة مجلة النيوزويك الامريكية ٢٩ |
٩٥ | ٥ .

٤- ضرب المسلمون في أعين الأوروبيين أمثلة صارخة لجماعات تناصب نفسها العداء بالرغم ما تزعمه من أخوة الايمان فلا يكاد أحد يفلح في لم شملهم وفي جمعهم حول قضية واحدة يتفقون في أمرها اتفاقا حقيقيا إلى حد أن الباحث الأوروبي قد يواجه مشاكل جمة عندما يبحث عن مسلم متدين ليجيب له عن بعض الأسئلة المتعلقة بالإسلام أو لمراجعة ما اطلع عليه من كتابات إذ يقف الجهل باللغة عائقا أمامه ويدهش السائل عندما يتشاجر المسلمون فيما بينهم ويتبادلون الاتهامات بعد فهمهم للإسلام .

٥- لا يشك الأوروبيون علي وجه الإجمال وبخاصة من انتهت إليهم معرفة المسلمين عن بعد أو بوسائط ومن لم يألفهم ويشاركهم بعض وجوه الحياة في أنهم أناس لا هم لهم إلا منافعهم الدنيوية وأنهم ليسوا أهلا لأية ثقة أو لأي عمل تحضري حقيقي وأشياء أخرى كثيرة تجعل منهم أناسا تقضي الحكمة باجتنايبهم وقد عززت سيرة بعض المسلمين في بلاد الغرب هذه الصورة ورسختها في نفوسهم وبطبيعة الحال لا يتولد علي ذلك في نفوس المسلمين سوى مشاعر الحرج والتحفظ والإنكار والشك في النوايا وتبدد الاطمئنان .

٦- أدت مقولات هذه المثالب لما فيه من حق وباطل إلي اعتبار الجاليات والعمالة المسلمة المهاجرة قضية ذات أبعاد سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية تفرض نفسها على العلاقات بين أوروبا والمسلمين ولاشك أن هذه القضايا تحتاج إلى معالجة

حضارية سياسية وأنها أكبر من اعتبارها قضية اقتصادية أو اجتماعية أمنية فقط وإلا فإن المسلمين قد تزيد معاناتهم داخل خطوط متقاطعة ودوائر متداخلة عاماً بعد عام .

الوضع الاقتصادي :

رأينا من خلال الحديث عن الوضع الاجتماعي للأجيال التي وفدت علي النمسا خاصة أن منها من جاء يطلب العلم ومنها من جاء للعمل وأن من تجنس بجنسية البلد المضيف ومنهم من لم يتمكن من ذلك . غير أن الجميع يحاول أن يكتفي ماديا وأن يكون في حال أفضل لأن طلب المال والولد مطلب طبيعي في الإنسان وزينة محببة إليه لكنها مقيدة بضوابط الشرع ونظرا لتقيد المسلم بالضوابط الشرعية في المعاملات المالية فإن ربحه يكون غالبا بقدر لأنه يرفض الإثراء الحرام والكسب غير المشروع

وأذكر هنا بقدر ما أعرفه عن وضع المسلمين الاقتصادي في النمسا ومرجعيتي بهذه المعرفة لا تعتمد علي إحصائيات بل تعتمد علي المشاهدات وما لدي الجيل الأول الذي تكونت منه الجالية المسلمة وما لديهم من معرفة عن الجنسيات التي سبقتهم منذ أكثر من ٥٠ عاما وهم علي دراية بأحوال إخوانهم لما يتاح لهم من لقاءات تمكنهم من التعرف علي النشاط المادي للآخرين لاسيما وأن الخوض في هذه المسائل يكون حديث المجالس عند الكثير .

والشيء المؤكد في هذا المجال أنه لا توجد شخصية محورية في مجال الاقتصاد ولا يوجد علم في أسواق المال يحسب له حساب . غير أنه

يوجد رجال من المسلمين عرب وغير عرب علي جانب كبير من الثراء الذي يتمثل في تجارة الأغذية والفاكهة واللحوم وقد تكون لهم هيمنة علي استيراد بعض التجارب بأنواعها المختلفة كالملابس والأحذية وبعض الجاليات أصحاب مهارة معينة في إدارة المطاعم وتشغيلها مع أن أكثرهم يتحاشي تجارة المحرمات شرعا ومنهم وهم قليل من الأغلبية رغبة التربح والكسب فلا يدقق في مراعاة الشرع .

وعلى صعيد آخر يوجد أصحاب الفنادق وتجار السيارات وأصحاب ورش إصلاحها وتجارات الأجهزة الإلكترونية والكهربائية وورش إصلاحها بكل ما تحتاجه من تقنية عالية وإذا كانت هذه الأنشطة التجارية والتنموية تحتاج إلي سيولة ورأس مال كبير فإن شراكة البنوك تجعل الأمر أهون واستمراريته أيسر، ومن خلال هذا يتبين لنا أن النشاط الاقتصادي متنوع التخصصات والمهارات ولكنه مازال بعيداً عن التأثير المباشر في أسواق المال .

في مجال الطب والصيدلة :

في هذين المجالين توجد للمسلمين جهود طيبة وبصمة واضحة في أوروبا وفي النمسا حيث وفق الكثير منهم في ممارسة المهنة من خلال عيادات تتساوي في مستوي الأداء الرفيع مع إخوانهم في بلد المهجر وفي الوطن الأم .

أما في مجال الصيدلة فإن نشاطهم محدود في المساهمة أو امتلاك عدد منهم لبعض الصيدليات التي استغرق إعدادها أكثر مدخراتهم ولو لا

أنهم الأطباء من الجيل الأول الذي جاء بطلب العلم ومضي عليه وقت طويل ما استطاعوا أن يصلوا إلي ما هم فيه الآن .

مجالات أخرى :

حضور المسلمين في الحياة الاقتصادية غير قاصر علي التجارة والطب والصيدلة بل يمتد إلي مجالات أخرى محدودة العائد غير أنها سائرة لأصحابها وهم عنها راضون وبها قانعون لأنها مصدر الرزق المتاح أو لأنهم لا يحسنون غيرها مثل قيادة السيارات أو بيع الصحف وتوزيع الإعلانات والعمل في المطابع والمصانع أو الوظائف في بعض الأعمال الحكومية والتدريس في المدارس أو التجارة في الزهور أو الخدمة في الفنادق والجزارة والبقالة وغير ذلك من المجالات التي تحتاج إلي الأيدي العاملة علما بأن منهم من يحمل شهادات جامعية وعلى أي حال فإن العائد متواضع لا يؤدي إلي تأثير مباشر في الحياة الاقتصادية .

مطالب لا توصيات :

بعد أن فرغت من تناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمسلمين وتناولت جانباً من مأخذ ومثالب أبناء البلد المضيف علي المسلمين مع ما لنا علي بعضها من تحفظ أرى أن الواجب أن أضع بين يدي صاحب القرار هذه المطالب وأهمها ما يلي :

المساجد :

يعاني المسلمون عناءً شديداً عندما يبحثون عن مكان يباشرون فيه عبادتهم لرفض التصاريح اللازمة لبناء المساجد بحجة أن المسلمين لا يحسنون معاملة غيرهم في البلاد الإسلامية ويستدلون بموقف السعودية إذ

لا يسمحون ببناء الكنائس والمعابد بينما يسمح لهم ببناء المراكز الإسلامية في عواصم العالم الأروبي .

ونقول هذا قول مردود لأن السعودية لا يوجد فيها غير المسلمين كسكان أصليين فلمن تبني الكنائس والمعابد ؟ كما أن المراكز الإسلامية لا تقام لأبناء السعودية وإنما تقام لأبناء المسلمين كافة أما سوء المعاملة فإنه لا يعود أن يكون ردود أفعال غير مسئولة في حالات فردية لا يصح أن تكون سببا لحرمان المسلمين من حقوقهم المشروعة والمكفولة بسلطة القانون .

إن أمر المساجد يغدو أكثر إلحاحا إذا عرفنا أن المسلمين في تزايد مستمر ومن غير اللائق أن تكون مساجدهم في بدرومات لا يراهم أحد ولا يسمح لهم برفع صوت لمؤذن من أن الأذان غير مزعج ولن يقلق أحد بل سيكون شهادة معلنة عن مصداقية الاعتراف القانوني بالإسلام.

إننا نتطلع إلي مساجد على وجه الأرض لا مخايبى نتوارى فيها وكأننا نعمل في تجارة ممنوعة أو جماعات خارجة عن النظام .

الاهتمام بتيسير أداء الصلاة :

إذا كان المسجد هو المكان الذي تؤدي فيه الصلاة في أوقات الانتهاء من العمل والعطلة الأسبوعية فإن من أركان الإسلام الخمس الصلاة وتأدية هذه الفريضة لا تمثل أية مشكلة للمسلمين غير العاملين، أما العاملون منهم فيواجهون صعوبة في أداء هذه الفريضة في أوقاتها المحددة والمشكلة هنا تنحصر في صلاة الظهر والعصر وأحيانا صلاة المغرب إذ يرفض مديرو الشركات والمصانع منح العاملين فترة راحة يؤدون فيها

صلاتهم وذلك لجهلهم بالإسلام ومعاداة الأجانب والخوف من كل ما هو غريب وتزداد المشكلة وضوحا إذا عرفنا أن معظم المسلمين العاملين في هذه المواقع ينتمون إلى الطبقات الدنيا غير الثقافة ولا يتقنون اللغة ومن ثم لا يستطيعون شرح قضيتهم أو التعبير عنها كما أنهم يجهلون قواعد العبادات في الإسلام حيث لا يعرف معظمهم أحكام جمع الصلاة وغير ذلك مما يترتب عليه ترك معظمهم الصلاة كلية .

ونرى أنه من اليسير جدا تخصيص وقت يتمكنون فيه من صلاة الظهر والعصر بحيث يؤدون الظهر في آخر الوقت والعصر في أوله على أن يكون ذلك في وقت الراحة لهم أخذا بما أقرته بعض الشركات والمصانع في فرنسا مادام ذلك لا يؤثر على الإنتاج ويحفظ علي المسلم دينه ويوثق العلاقة بينه وبين صاحب العمل وقد ثبت أن لهذا أثر كبير في المردودية الجيدة علي العامل وعلى مستوى الأداء والإنتاج .

تيسير الحصول علي اللحم المذبوح :

علي الرغم من أن أمر الطعام يسير جدا في أحكام الشريعة الإسلامية إلا أنه يلزم المسلم أن يدقق فيما يأكل من اللحوم وفيما يتناول من شراب ويجعل ذلك الأمر دينا يلقي ربه ويسأله عنه .

أما الشراب فأمره معروف هو الامتناع عن كل مسكر ومفتر والحرمة تشمل الكثير والقليل منه علي السواء ، وأما الذبائح يحرم عليه أكل لحم الخنزير وما ليس مذبوحا ذبحا شرعيا وما لم يكن كذلك فهو ميتة وأكله حرام لذلك فإن المسلم يدقق في هذه المسألة ومما يورق المسلمين دائما عدم وجود مذابح خاصة بهم أو تخصيص مكان للذبح وإعطائهم

الحرية في ذبحهم وفقا للشريعة الإسلامية ومعاملتهم في هذا الشأن كما يعامل اليهود الذين لا يذبحون الخنزير ويذبحون الحيوان كما يذبح المسلمون ولا يقتلونه بالصدمة الكهربائية والرصاص كما يفعل النمساويون بيد أن معظم مسلمي النمسا يفضلون اللحم المذبوح علي الطريقة الإسلامية ويجدر بالذكر هنا التأكيد علي بطلان الشائعات التي ترمي المسلمين بتهمة ذبح الماعز والخرفان في حمامات بيوتهم .

إن تيسير هذا الأمر للمسلمين في النمسا يوفر عليهم جهدا كبيرا حتى لا يلجأوا إلي تقليد بعض المحالات الجزارة الإسلامية في سويسرا بالذبح في فرنسا في مذبح خاص يستخدمه اليهود وبعد ذلك يقومون باستيراد هذه اللحوم إلي سويسرا بتصريح خاص إلي هذا الحد نري حرص المسلم علي التدقيق فيما يأكل فمن الإنصاف إذن أن نيسر له أمر طعامه إذ الطعام ألزم الضرورات اليومية مادام ذلك ممكنا وميسورا ولا ضرر فيه علي أحد .

إنشاء المدارس :

لا ينكر منصف مدي الاهتمام الدولة النمساوية بالطفل والطفولة بصورة متميزة وهذا الاهتمام يشمل الأطفال دون تميز بين مسلم وغير مسلم غير أن الطفل المسلم له خصوصيته من حيث اللغة العربية ضرورة عنده لأنها لغة الوطن الأم ولغة الدين التي يتعلم بواسطتها العبادة وقراءة القرآن والثقافة والتاريخ ومتابعة أحداث العالم العربي والإسلامي باعتباره مسلما وعربيا ولأنهم في المدارس يتعلمون اللغة الألمانية وفي البيت يتكلمون لغة الأب عربية أو تركية وغيرهما فالأطفال يتحركون بين

عالمين أو ثقافتين مختلفتين دون أن يشعروا بانتماء كامل لأحدهما وتواجه البنات المسلمات بصورة خاصة العديد من المشاكل بسبب اختلاف التقاليد الإسلامية عن لعادات المجتمع ومن منطلق حرص الدولة النمساوية علي الصحة النفسية للأطفال وتهئية المناخ الذي ينتج للمجتمع أفرادا أسوياء ومساعدة للأسرة حتى لا تتحول تدريجيا لغة الوطن الأم إلي لغة أجنبية بالنسبة للأطفال ويتبع اللغة الثقافية والدين لك هذه الاعتبارات يصبح بناء المدارس لأبناء المسلمين العرب أمراً في غاية الأهمية علي أن يكون ذلك تحت إشراف تربوي يرفع ثقافة الوطن المضيف وقيمته وثوابته كما يحفظ أيضا ثوابت الوطن الأم .

مدافن الموتى :

الموت من المنظور الإسلامي مرحلة من مراحل الحياة تعقبه حياة أخرى وفي علم العقيدة الإسلامية أن فترة الرقاد في الأرض أو القبر هي حياة تسمى حياة البرزخ لذلك جعل الإسلام للدفن شروطا وكيفية خاصة لا يشبه الإسلام فيها غيره من الديانات الأخرى والمسلمين يحرصون علي التزام الشريعة في حال الموت كما يحرصون عليه في حال الحياة وللإنصاف فإنه لا يوجد عائق يعوق الإجراءات التي تسبق الدفن لكن أماكن الدفن - المقابر - ينبغي أن تكون معزولة وبعيدة عن المدافن الأخرى وذلك بقرار تخصيص يمكنهم من بناء سور عليها وتهيتها بحسب ما تقضي به الشريعة الإسلامية وفي القوانين الرسمية في البلاد سعة بحيث يمكن تيسير هذا الأمر للمسلمين .

إن هذه المطالب هي أدخل ما يكون في الحياة الاجتماعية فكل شئون الدين والدنيا والآخرة هي نسيج حياة المسلم وحركة الإنسان في حس المسلم لا يفصل بينها ما هو للدين وما هو للدنيا إذ كل ما للدين وكل ما للدنيا أي كل ما قبل الموت وكل ما بعده أنه من مفهوم العبادة التي خلق الله الجن والإنس من أجلها قال الله تعالى : " وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون " .

عدم ربط الخوف من الإسلام بالأمن الأوروبي :

إن ربط الخوف من الإسلام بالأمن الأوروبي يمثل محاولة خطيرة نحو تصعيد العداء بكافة أشكاله بين المسلمين في العالم وبين الجاليات المسلمة في أوروبا وهو يعني القضاء علي فكرة التعايش تماما ويجب أن يعلم أن بعض الممارسات العنيفة لعدد محدود من الأفراد المسلمين لا يعطي المبررات لجعل المسلمين علي أجندة العداء الأوروبي فهل الممارسات العنف من قبل الجيش الجمهوري الأيرلندي ضد الحكومة البريطانية يبرر العداء ضد الكاثوليك أو ضد الشعب الأيرلندي إلي الجانب ذلك فإن هناك حالات عديدة في أوروبا من العنف بين اليساريين واليمينيين .

اعتبار الإيجابيات أساس التعاون :

ينبغي أن يكون المحور العلاقة بين المسلمين وبين المجتمع المضيف هو الإيجابيات لا السلبات ويتحقق ذلك بقدر ما يعتمد صاحب القرار علي الخبير السياسي المحايد الذي عايش الناس بعمق وتفهم بالقدر الذي يكون كافيا في رسم السياسات التي تتعلق بالإسلام والمسلمين وكم

جني صاحب القرار علي المسلمين إذا انطلق من فرضيات أحادية تعتبر الإسلام هو مصدر تهديد للمصالح الأوروبية .

التخلي عن مسألة إثارة الأقليات :

درجت الأقلام والصحف في أوروبا في الآونة الأخيرة علي إثارة قضية الأقليات وربطها بسياسة الوفاق أو الشقاق مع النظم الحاكمة وحيث أن ذلك يؤثر علي وضع الجاليات المسلمة في الغرب ويؤدي إلي عدم المصادقية في ثوابت المجتمعات الغربية إذ لا تثار مسألة حقوق الإنسان والأقليات في البلاد العربية إلا في أوقات معينة تتسم غالبا بهبوب الرياح عكس ما تشتهي السفن في بلاد الغرب.

عدم الإلحاح المسف في اتهام الإسلام باضطهاد المرأة :

راجت الاتهامات للمجتمعات العربية والإسلامية بأنها تتحاز كلية إلي الرجل وتتجاهل دائما علي الأنثي من منطلق إسقاط ما كان في العصور الجاهلية القديمة علي الإسلام واعتبار أخطاء الذين يجهلون الإسلام هي الأصل وهي الإسلام علي أن مكانة المرأة في القرآن لا تختلف كثيرا عن مكانتها في التوراة والإنجيل وجدير بالغربيين بدل أن ينتقدوا وضع المرأة في الإسلام أن يصلحوا من وضعها في بلادهم فالمرأة مازالت لا تحصل علي نفس أجر الرجل مع أنها تؤدي نفس العمل وحتى عهد قريب كان لا يحق لها الإدلاء بصوتها في الانتخابات ثم لماذا تؤسس بيوت خاصة للنساء المضطهدات (في الغالب يكن هاربات من تعذيب أزواجهن الذين يقومون بضربهن وإساءة معاملتهن) إذا كانت المرأة لا تضطهد إلا في الإسلام فلماذا أنشئت هذه البيوت في بعض العواصم الأوروبية؟ .

خاتمة

إن الحديث عن المسلمين في أوروبا هو المحور الذي طافت حوله بحوث هذا المؤتمر وكانت هذه السطور محاولة لعرض بعض جوانب الحياة الاجتماعية في أكثر جوانبها وضوحا والحياة الاقتصادية ومحاولة وضعها في المستوي اللائق بها دون تهوين أو تهويل أملا في أن يكون لصاحب القرار في البلد المضيف وتحت يده من المعالم ما يكشف له أوضاع المسلمين الذين يشكلون أعظم الأقليات علي تراب هذا الوطن حتى يمكن صياغة العلاقة بين المسلمين وغيرهم علي أساس المساواة والعدالة في ظل الوضع القانوني الذي تميز به المسلمون في هذا البلد دون غيرهم من البلاد الأخرى ومن حقنا نحن المسلمين في هذا الإطار أن نأمل في أن يكون للمطالب التي قدمت صداها الطيب عند صناع القرار لعلها تفتح الطريق نحو الاندماج الذي يحقق الخير لكل الأطراف ويصون حقوق الجميع وأيضا ليكون المستقبل المشرق هو سمة العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين .